حرة » في ظل ضمانة دولية ، يمكن للراغبين من الشعب اليهودي العودة اليها ، ليحققوا فيها خلاصهم ، بمعزل عن اي تدخل من قبل الاجناس والاديان المغايرة » . لقد اخفق الحزب في أن يدرك أن ما كانوا يفعلونه بالضبط ، هو تقديم فلسطين الى جماعات تنتمي الى دين مغاير وجنس مغاير ، كانت تستهدف ليس فقط التدخل في حياة السكان المحليين الفلسطينيين ، بل وطردهم خارجا . ومما يضفي على المسألة روح المفارقة والسخرية ، العبارة التالية التي وردت في البيان : « ليس هناك من معنى لاعلان حقوق الشعوب في تقرير المصير ، اذا ما ترك هذا الحق تحت رحمة انتهاكات جديدة ، ولم يشمل بحماية سلطة دولية فوقية » .

لكننا نعلم من وقائع التاريخ عن اعتداءات الصهيونيين القاسية وانتهاكاتهم الفظة لحقوق شعوب فلسطين والبلدان المجاورة في ان تقرر مصيرها، وازدرائهم لـ ، وخروجهم على ، مساعي السلطة الدولية الفوقية ، هيئة الامم المتحدة ، لحماية هذه الحقوق . وهكذا تبنى حزب العمال — بتأثير النفوذ الصهيوني — مواقف ازدواجية حيال الشرق الاوسط في عام تصريح بلفور ، رغم انه يمكن القول — بهدف التلطيف والتخفيف — ان المقاصد الحقيقية للصهيونية لم تكن قد فهمت على نطاق واسع في ذلك الوقت ، كما لم يكن قد توفر استيعاب والمام بما في مصطلحات ومفردات اللغة الصهيونية من التواء .

ومنذ انضمام « عمال صهيون » الى حزب العمال البريطاني ، تدفق سيل عارم من القرارات على مؤتمرات الحزب ، كما كان انضمامهم نقطة انطلاق لولادة العديد من منظمات الواجهة الصهيونية : المكتب السياسي ، جماعة الدراسات الفلسطينية في حزب العمال ، مجلس فلسطين العمالي السياسي ، بالاضافة الى جماعات شبيبة متنوعة ، وأصدقاء اسرائيل في حزب العمال ، الى آخره .. الى آخره !

واستنادا الى السجلات ، لم يكن هناك اي نائب من حزب العمال ، قد أثار في مجلس العموم قضية فلسطين ، لكن العام ١٩٢٠ شهد بداية سيل ثابت من الاسئلة الموحى بها من الصهيونية ، في مجلس العموم . ولم يمض وقت طويل ، ففي العام ١٩٢٢ القى أول خطاب في مجلس العموم عن قضية فلسطين من مقاعد العمال . والواقع ان مجلس العموم لم يكن حتى ذلك الحين ، اي بعد مرور أربعة أعوام ونصف العام على تصريح بلفور ، قد تطرق الى اية مناقشة حول فلسطين على الاطلاق. وكان الناطق العمالي في تلك الجلسة المستر جوزيا ودجوود ، النائب عن منطقة نيوكاسل ابن ليم (الذي أصبح فيما بعد اللورد ودجوود) . ولقد بسط المستر ودجوود الراي عن الصهيونية باعتبارها القوة التي ستجلب الديموقراطية والتقدم الى فلسطين ، وان جماهير الشعب العربي ترحب بها في فلسطين ، ولا يعارضها سوى أصحاب الاراضي الاقطاعيون. وان العرب العاديين « وقفوا ينتظرون المنافع الهائلة التي سيقطفونها بسبب التنمية التي سيوفرها الشعب اليهودي في فلسطين »(١٠).

الواقع ان هذا « الخط » ، وما لحقه من تنويعات ، أصبح منذ ذلك الحين أحد أبرز الموضوعات الصهيونية المألوفة ، وساهم الى حد بعيد في التأثير على قناعات جيل كامل من اعضاء حزب العمال . ومع ذلك ، فبينما كان هذا الخط في ذروة طرحه على أوسع نطاق في بريطانيا في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، كانت الهستدروت في فلسطين حريصة على ان تكفل عدم تشغيل عمال من غير اليهود في مصادر العمل القائمة برأسمال يهودي ، وفي حال شراء ارض من مالكها العربي ، كانت حريصة على استبدال العمال العرب فوق هذه الارض بعمال من المهاجرين اليهود .

وفي وقت اقرب الينا ، اي في العهد الذي نعيشه ، شهد هذا « الخط » بعض التنويع ، وأضيف اليه « تأكيد » بأن المقاومة الفلسطينية قاصرة على جماعات صغيرة محدودة من «الارهابيين» وانها بلا سند من الشعب . ان اي شخص أتيح له أن يختلط بالفلسطينيين على مختلف مستوياتهم الاجتماعية ، سواء في الشرق الاوسط او في بريطانيا او في أي مكان آخر ، ودون ان نستثني الشبيبة التي تشق طريقها ضد جميع أشكال التمييز والتحيز ابتداء من المدارس القائمة على نظام المناوبات في مخيمات اللاجئين ، وانتهاء بالجامعات ، ان أي شخص أتيح له أن يحتك بهؤلاء الناس ، يعرف مقدار الكذب في « التأكيد »